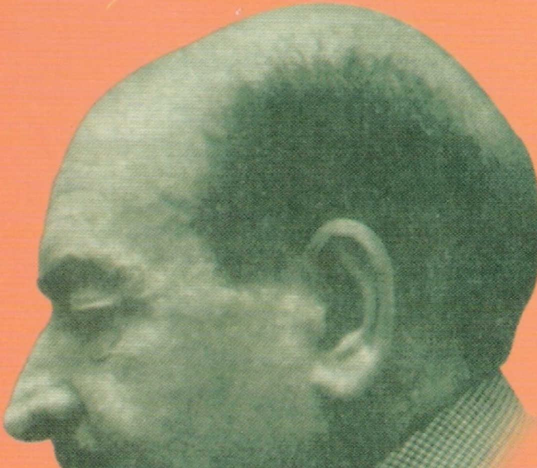
١٩٥٩

مكتبة نوبل

سلفاتور كواسيمودو

قصائد مختارة



ترجمة : فوزي كريم

قصائد مختارة

مكتبة نوبل

Author :Salvatore Quasimodo
Title: Selected Poems
Translator: Fawzi Karim
Al- Mada P.C.
First Edition :year 2001

اسم المؤلف : سالفاتوري كواسيمودو
عنوان الكتاب : قصائد مختارة
اسم المترجم : فوزي كريم
الناشر : المدى
الطبعة الأولى : سنة ٢٠٠١

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ - فاكس : ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. Cyprus
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 .
Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
E - mail : al - madahouse @ net.sy : البريد الالكتروني

٥٩ ١٩

مكتبة نوبل

سالفاتوري كواسيمودو

قصائد مختارة

ترجمها إلى العربية نثراً

فوزي كريم

مقدمة

١

كانت المختارات الصغيرة في الانكليزية للشاعر الإيطالي «سالڤاتوري كواسيمودو»، والتي وضعها «جاك بيڤان» لمسلسل «پنگوين»: «شعراء أوربيون معاصرون»، مفتاحاً للتعرف على هذا الشاعر المقرّب. بعدها أصدر «بيڤان» المجموعة الكاملة (لندن- أنڤِل- ١٩٨٣)، فكانت فرصة لصحبة طويلة مع هذا الصوت الاستثنائي الذي لم يُشعرني بما تُفسد الترجمة عادة. فقصائده لا تعتمد لغةً لذاتها، ولا تقنية لذاتها، ولا صورة اعتباطية لذاتها. بل هي تهدف إلى المأزق الإنساني، تتأمله وسط زحمة من علامات الاستفهام. وهذا الهدف يخترق، بفعل نبله، كل حواجز الترجمة فيصل روحاً بروح.

إن غرائبية «كواسيمودو» غنائية. وكنت ألتزم بنصيحة «جاك بيڤان» في أن أقرأ قصائد هذا الشاعر مستسلماً «لها وفقَ أهوائها هي. فهي قصائد عميقة ولكن دون ذكاء، ماهرة ولكن دون حيلةٍ أو مكرٍ. وهي بالرغم من أنها تصدر عن خبرة شخصية عالية النبرة إلا أنها تحقق المعاني الأوسع». والتزام نصيحة كهذه دربة في القراءة الشعرية ثمينة.

وكنت أشعر أن غرائبية الشاعر الغنائية تحولت إلى صلب الانكليزية. على أني كنت أعرف أن هناك بعداً موسيقياً لهذه الغنائية لا بدّ أن يُفقد في الترجمة، خاصة وأن «كواسيمودو» يتميز عن شعراء جيله بهذه «الموسيقى الحسية»، التي لا يرى لها الناقد «لويس روسي» شبيهاً في الشعر الإيطالي الحديث، «ولكي تقع على شبيه لغناها اللحني عليك أن ترجع القهقرى إلى شاعر كـ «تاسو». وهذا التمثل والاستيعاب للموروث يشكل أحد العناصر المتينة في شاعرية «كواسيمودو».

عبر هذا الاستسلام لأهواء القصيدة كنتُ أجدني ميالاً، بين حين وآخر، إلى أن أترجم هذه القصيدة أو تلك إلى العربية، وعلى الهامش الفارغ بجوار القصيدة مباشرة. أضعها بذات طواعية القراءة، وكأنني أريد بذلك أن أقرب «كواسيمودو»، عبر العربية، إلى النفس. ولم يكن لي هدف أبعد من ذلك. وكلما أعود إلى قراءاته أخلف بضعة هوامش جديدة، حتى تجمعت لدي من «كواسيمودو» نصوص نثرية كثيرة، تحاول أن تكشف عن ظلال الشعر الذي كانته، يوم كانت إيطالية اللغة.

هذه القصائد لم تترجم شعراً، إذن، بل نثراً، شأن الكثير مما يترجم إلى العربية من شعر، دون الإشارة إلى طبيعة الترجمة. وهي ظاهرة لم يلتفت إلى مقدار خطورتها أحد. فقد شكلت مع الأيام إحدى مصادر الالتباس، الذي يتورط فيه الشعر العربي، في الظن بأن الشعر العربي، والعالمي، الحديث يكتب دون إيقاع وقاعدة وزنية. حتى أصبحت قاعدة ترجمة الشعر شعراً استثناءً. وأصبح هذا الاستثناء مثار استنكار وسخرية.

٢

المصادر التي تتحدث عن «كواسيمودو» تكاد تكون نادرة في الانكليزية، وهو أمر مثير للدهشة. فباستثناء المقدمة التي وضعها مترجم قصائده «جاك بيڤان»، ومقالة نشرها «لويس روسي» في مجلة «شيكاغو ريڤيو»، لا تكاد تقع على شيء ذي قيمة نقدية تتجاوز التعريفات المألوفة في كتب تاريخ الأدب. وكأن «كواسيمودو» لم يكن الشاعر الكبير الذي حصل، عن جدارة، على جائزة نوبل ذات يوم.

ولكن هذه الظاهرة، التي تثير الدهشة تكشف عن شيء من الحيف طال هذا الشاعر المعتزل. وهذ الحيف ذو طابع وطني حقق له امتداداً عالمياً. وتكفي، لكي نتعرف على ذلك، هذه الإشارة التي جاءت في كلمة «أنا ماريا انجيوليتي» صديقة الشاعر الشابة للسنوات الثمان الأخيرة من حياته، والتي كتبتها حول مناسبة الاحتفال الذي عقد في حزيران عام ١٩٦٧، في جامعة اكسفورد لتقديم شهادة فخرية للشاعر:

«في حزيران ١٩٦٧، في السنة التي سبقت سنة وفاته، كان كواسيمودو يتمتع بفرصة أخرى للسعادة بعد نوبل. جاءته مرة ثانية من بلد غير بلده يمنحه فيها تقديراً فخرياً واحتراماً لقيمته، من قبل رجال لم يختلفوا فيما بينهم خلافاً ضيق الأفق، ولم يكونوا مدفوعين بمحسوبية أو تحزب. رجال ارتضوا القرار العالمي بسلام مع الطبيعة والعلم والله. إن وطنه إيطاليا حتى سنة وفاته، وحتى في مناسبة وفاته ذاتها لم يُره إلا مشاعر العداء والحسد والحقد».

وكان «كواسيمودو» لا يخفي، هو الآخر، خاصة في السنوات

التسع التي تلت جائزة نوبل إلى سنة موته عام ١٩٦٨، شكواه من إهمال مواطنيه ومن العزلة.

ولكن ما أليق هذا الحصار وهذه العزلة بصوت «كواسيمودو» الشعري، الذي عانق محاور: الموت، الصمت والعزلة في أكثر ما كتب. وما أعمق حميمية هذه العزلة مع دم مخيلته وذاكرته!

ولد «سالفاتوري كواسيمودو» Salvatore Quasimodo في جزيرة «سيسلي» عام ١٩٠١. في السابعة من العمر عاش تجربة هزة أرضية قاسية فامتلأت مخيلة طفولته بصور الموت والخراب، صور لصوص يلقى القبض عليهم ويعدمون رمياً بالرصاص وسط الظلام. وفي مرحلة دراسته كعامل ميكانيك في «باليرمو»، أرض الفوسفور ومناجم الملح، أرض الفلاحات بالثياب السوداء، أرض المياه ومخلفات الإغريق، أرض الأساطير، ولد تيار تلك المحاور الشعرية التي أشرت إليها: محاور الموت والصمت والعزلة. حتى لقد اتسعت المعالجة المباشرة إلى ٨٤ قصيدة من تعداد قصائده الغنائية التي تبلغ ١٧٣، وبالإمكان إضافة موضوعات أخرى إلى تلك المحاور مثل الإحساس بالحرمان والمنفى، نتيجة تمزق الشاعر وانبتار جذوره عن تلك «الأرض التي لا تقارن»، أرض سيسلي في الجنوب.

اقتلاع الجذور هذا هو الذي دفع أحد النقاد إلى إنكار صحة انتساب «كواسيمودو» إلى المدرسة الشعرية «الهرمسية» -Hermeti cism، لأن أحزان «كواسيمودو» إنما تتجه إلى أرض الوطن البعيدة، سيسلي. إن الحنين والإحساس بالأسف ذو طبيعة إيطالية وسيسلية أكثر فردية من أن يكونا جزءاً من مشاعر الوجودية الأوروبية. فموسيقى اللغة

الإيطالية تستعاد في قصائده. قيمها الصوتية وتعبيريتها تتعارض مع الجوهر المكثف المستعمل في لغة مجايليه الشهيرين «أونگاريتي» و«مونتالي». فإذا كان هذان الشاعران يتطلعان إلى ماوراء حدود إيطاليا من أجل التعبير عن قيم جيلهما المتمثلة شعرياً فيما هو غير زمني وعالمي، فإن رؤيا «كواسيمودو» أضيق حدوداً، لأنها تستدير إلى تمثل دروس الماضي، ولكن بصورة أكثر محلية من وطنية، وأكثر وطنية من فردية.

الفارق بين «كواسيمودو» ومجايليه الشهيرين «أونگاريتي» و«مونتالي»، كما يرى الناقد، هو الفارق بين «كواسيمودو» و«المدرسة الشعرية الهرمسية». لأن الشاعرين أهم أعلامها في الشعر الإيطالي. ولكن هذا الرأي يبدو شذوذاً عن القاعدة النقدية العامة التي ترى في «كواسيمودو» ثالث الأثافي التي تستقيم عليها المدرسة الهرمسية.

قبل أن أواصل الحديث عن الشاعر لا بد من تعريف سريع لمدرسته الشعرية هذه.

٣

«الهرمسية» تيار فلسفي ديني علمي ينسب إلى هرمس المثلث بالحكمة أو النبي إدريس كما جاء في المؤلفات العربية. ولقد أطلق اليونان اسمه على «تحوت» أو «طوط» المصري، مخترع الكتابة، وبالتالي جميع الفنون والعلوم التي تعتمد على الكتابة وتمارس في المعابد كالسحر والطب والتنجيم والعرافة. ثم ارتقى «طوط» درجة في سلم الألوهية، بحسب الأساطير المصرية، فنسب إليه خلق العالم بقوة

تأثير صوته، قوة الكلمة. وتقول الأساطير المصرية إن صوته يتكثف بنفسه فيصير مادة، ومن هنا كانت قوته كامنة في صوته. أما في الميثولوجيا اليونانية فلقد حظي هرمس بمكانة مرموقة إذ كان ابناً لكبير الآلهة «زيوس» وقد نسبوا إليه، أيضاً، اختراع الكتابة والموسيقى والتنجيم والحساب.

الفن الذي يعتمد على الكتابة ويُمارس كضرب من السحر والعرافة يفترض غموضاً واتصالاً ماورائياً. يفترض إلهاماً، ومقاصد عصية على المدركات العامة ولذلك تُتوسل الرموز والمجازات. ومن هنا يأخذ هذا المفهوم، من الناحية الشعرية، بعداً تاريخياً يعود في تدرجه إلى أفلاطون وموقفه الشهير من الشعر.

إحدى المفاهيم الأربعة التي تستخلص من موقف أفلاطون تتعين في «الشعر كرمزية هرمسية»، بالإضافة إلى المفاهيم الثلاثة الأخرى: «الشعر كتربية» و«الشعركمحاكاة» و«الشعر كإلهام». لأن أفلاطون، الذي حارب الشعر كفيلسوف، كان شاعراً من طراز فريد. فلقد استخدم عبر حواراته الأساطير والمجازات والرموز وسائل للتعبير عن أفكاره. وهذه الوسائل الشعرية لها جذور في الشعر اليوناني الأسبق، «الأورفي» و«الهرمسي»، ولها امتدادات في الشعر الأوروبي تصل إلى «بليك» و«ييتس» ومن يليهما. خاصة وأن مفاهيم «الشعر كمحاكاة» و«الشعر كإلهام» عززت العناصر السحرية والغموض في الشعر، وكأن الشاعر يحاول إيصال رؤيا أعمق من رؤيا الإنسان فيه.

إن «الهرمسية الشعرية»، إذن، تصلح على كل شعر يستخدم الأساليب الرمزية الغامضة التي تشير إلى ما هو غائم وخفي وسحري.

هذه إشارة عامة. أما كمدرسة فتشير إلى تيار شعري نشط في منتصف القرن العشرين منتفعاً من جذور تعود إلى «نوڤاليس» و«پو»، ثم ترقى إلى الرمزيين الفرنسيين مثل «بودلير» و«مالارميه» و«رامبو»، و«ڤاليري»، وتتحدد تماماً على يد حفنة من الشعراء الإيطاليين يقف «أونگاريتي» على رأسهم.

هذا التيار له ريادة عند الشاعر الإيطالي ارتور اونوفري (١٨٨٥-١٩٢٨) ذي النزعة الشعرية الخالصة (الشعر الخالص أو الصافي لدى الفرنسيين). وعند العقد الثاني من القرن العشرين تعززت هذه النزعة في التعرية الكاملة للغة الشعرية من أي زخرف وهواجس بيانية، وفي تكثيف الإمكانات الغنائية في الكلمة المفردة المجردة من كل ديكور، ومن كل العناصر المنطقية. وجد الشاعر بديلاً عن هذا في الإمكانات الموسيقية للكلمات، في ذلك التداخل الفاعل والسحري بين صوت الكلمة وبين الصمت، بين لحظات الإشراق وبين لحظات الفراغ الأبيض، غافلاً عن بنية النص وشكله. إن هذه المحاولة لتصيير العوالم المافوق حسية إلى حسية قادت بالضرورة إلى لغة شعرية عالية الذاتية والشخصية، وبسبب هذا العامل ارتبطت صفة الغموض بهذا التيار.

على ضوء هذه الخصائص هل ينتمي «كواسيمودو» حقاً إلى هذا التيار؟ عدد من قصائده يشي بذلك. ولكن مجمل نتاجه، مقارنة بنتاج «أونگاريتي» و«مونتالي»، يكشف عن إضاءات أخرى، يبدو عنصر الأسى والحنين ومشاعر الأسف لفقدان أرض الجذور أرجح كفة من خصائص «الهرمسية».

٤

عند نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد أكمل «كواسيمودو» دراسته المتوسطة، غادر أرض «سيسلي» إلى «روما» ليدرس الهندسة الميكانيكية في «البوليتكنك». إلا أن الظروف دفعته إلى هجران الدراسة واتخاذ وظائف عدة. فقد عمل مصمماً تقنياً، ومساعداً في مخزن تجاري. وعبر هذا الزمن المعيشي المضطرب، ١٩٢١، كان «كواسيمودو» ينهل من المعارف ما استطاع. فتعلم اللغة اليونانية وقرأ «أفلاطون» و«القديس أوغسطين» و«اسبينوزا»، كما قرأ «دانتي» و«بيترارك» و«تاسو». في عام ١٩٢٦ عاد إلى الجنوب ثانية كموظف في وزارة الأشغال في «ريجيو كالابريا». وهناك وبصحبة أصدقاء قدامى من «ميسينيا» واصل ولسنوات ثلاث قراءة وكتابة وإنشاد الشعر في اجتماعات أيام الآحاد المتواصلة. كانت تلك سنوات دربة مهمة. ولقد ضمت تلك الصحبة الأدبية: «بوغلياتي»، «ناتولي»، «آنتو»، «ساجيو»... وكانت أمسيات الآحاد تتضمن نزهات إلى «تنداري». وقصيدة «رياح عند تنداري» في هذه المختارات واحدة من نتاج هذه النزهات. في هذه المرحلة تعرف على جماعة «سولارا» وهم عصبة ثقافية تضم أشخاصاً مثل «مونتالي» و«بونزانتي». ولقد نشر هذا الأخير ثلاث قصائد له في مجلته الفصلية، كما ساعده على نشر مجموعته الأولى «مياه ويابسة» عام ١٩٣٠.

في السنوات القليلة التالية عاش في «ايمبيرا»، بالقرب من «سان ريمو»، حيث شارك في بناء طريق عسكري مع ١٥٠٠ عامل. ومن ثم

في «سردينيا». ثم انتقل إلى ميلان عام ١٩٣٨.

بعد سنوات من متاعب العمل قرر «كواسيمودو» أن يتخلى عن كل عمل يخص مهنته التي درس من أجلها، وأن ينصرف تماماً للنشاط الأدبي، بحيث أصدر مجموعته الثانية على الفور، وعمل محرراً في مجلة «Tempo». بعدها عرضت عليه وظيفة أستاذ للأدب الإيطالي في المعهد الموسيقي في ميلان عام ١٩٤٠. وفي هذا العام نشرت له «قصائد غنائية من اليونان»، وهي نصوص مترجمة منحته سمعة واسعة في عالم الأدب الإيطالي.

حصل «كواسيمودو» على جائزة «سان بابليا» عام ١٩٥٠، وفي عام ١٩٥٥ تناصف جائزة «ايتناورمينا» مع الشاعر الويلزي «ديلان توماس». وفي عام ١٩٥٨ حصل على جائزة «مايريجيو». ثم توجت نوبل مسيرته حيث منحت له في السنة التالية عام ١٩٥٩، «لأن شعره يعبر بناره الكلاسيكية عن الخبرة التراجيدية لحياتنا المعاصرة». وكان منح الجائزة تأكيداً على أن الجمهور العالمي قد أصبح جاهزاً، أخيراً، للاعتراف بالإنجاز الشعري الإيطالي.

إن منح جائزة نوبل قوبلت بمشاعر متعارضة في إيطاليا. فمن جهة هناك ارتياح بالتأكيد لمنح الجائزة لشاعر إيطالي، ولكن هذا الارتياح مشوب بمشاعر أسف لأنها لم تمنح لواحد من الشاعرين الأكبر سناً: «أونگاريتي» و«مونتالي». الجائزة ركزت، بشكل واضح، على شعر «كواسيمودو» الذي كتبه بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب مسحة الالتزام الإنساني الذي فيه. ولكن أكثر النقاد الذين ميزوا تغير الصوت الشعري، خاصة بعد مجموعته «وفجأة يحل المساء» ١٩٤٢، كانوا

أميل إلى شعره ذي الصبغة الهرمسية لما قبل الحرب. ومنذ وفاته عام ١٩٦٨ يبدو الفاصل بين شعره لما قبل وما بعد الحرب فاصلاً إيهامياً (جاك بيقان). إن خبرة الحرب في إيطاليا لا شك ولدت ضرورات جديدة، وضغوطات لا يمكن إنكارها. خاصة وإن بعض تلك القصائد «الملتزمة» تنطوي على حدة خطابية وانفعالية، التي ينطوي عليها الشعر الجماهيري عادة. ولكن تأمل نتاج الشاعر، لما بعد الحرب، عن قرب، يؤكد تشرب تلك الخبرة المثيرة بموضوعات وأشكال ميزت الشاعر في أحسن مستوياته.

إن التمييز بني مناخ شعره المبكر والمتأخر لم يكن حاداً. إلا أن مواقف الشاعر النقدية قد تكون ذات تأثير على وجهات النظر التي قُرئ فيها شعره. إنه تحدث عن نمو «الشعر الاجتماعي» الذي يطمح إلى «الحوار» بدل «الحوار الداخلي»، وإلى الأسلوب الملحمي والدرامي بدل أسلوب القول المأثور والمثل السائر، «اليوم، وبعد حربين عالميتين... على الشاعر أن يعيد صنع الإنسان». إن عبارة الشاعر نفسه تفترض أن ينزع إلى الانتقال من موقع المنسحب إلى موقع المشارك، إلى هدف موجه سياسياً واجتماعياً.

بين ١٩٣٠ و١٩٣٨ كان «كواسيمودو» أحد الشعراء الذين يوصف شعرهم بأنه «هرمسي» Hermetic. ومع الحرب أصبح شعره هادفاً باتجاه الخبرة الأخلاقية. وبعض القصائد كشفت عن تغير في النسيج والنبرة. إلا أن موضوعته الشعرية، التي بقيت في الجوهر واحدة، هي مأزق الإنسان، تاريخه ومصيره في هذا الكون الممزق. الشاعر يقيس حاضره بماضيه، ويسبر أغوار وعيه. قصائده تزدحم بعلامات الاستفهام،

تتحدث عن البراءة وفقدانها، عن الحيوانات والزروع، وعن الكون. إنها تعبر عن حاسة من ينتمي لعوالم ضائعة، مدحورة، منفية وقمعية. قصائده تمثل بحثاً عن معنى في زمن تلاشت فيه المعاني. وبالرغم من مباشرتها تبدو هذه القصائد غامضة، ملغزة. إن ثمة قوة تتخفى وراءها، تبدد تعارضاتها الظاهرة على السطح لتكشف عن كون لم يقتحم بعد.

على قارئ هذه القصائد أن يستسلم لها وفق أهوائها هي. وهي بالرغم من أنها تصدر عن خبرة شخصية عالية إلا أنها تحقق معاني أوسع. إن «كواسيمودو» ليس نتاج حركة شعرية واحدة، بل هو امتص تأثيراتها وبقي دونها متماسكاً، ثابتاً في دائرة طبيعته هو. إن التغيرات في شعره، بدءاً من مجموعته الأولى، كانت انعكاسات حقيقية لتغيراته هو كشاعر. في حين كان مسار الشعر الإيطالي، الذي يمتد منذ القرن التاسع عشر، كمن يتطلع لشعراء يستطيعون أن ينجزوا الموروث البلاغي ويوصلوه إلى مرحلة نضجه. ولكن «كواسيمودو» كان متحفظاً. ولقد امتص، شأن «أونگاريتي» و«مونتالي»، التأثيرات الفرنسية وطور فيها لغة ملائمة لأهدافه، ومتناغمة مع الرغبة بارتياد الأبعاد الداخلية لتجربته.

فوزي كريم

مادة هذه المقدمة مأخوذة ومنتفعة من المصادر التالية :

Salvatore Quasimodo - Complete Poems- introduced and translated by Jack Bevan. Anvil press. London. 1983.

الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الثاني ، مادة «الهرمسية» ، معهد الإنماء العربي ١٩٨٨ .

Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics- 1974.

Louis Rossi: "S.Quasimodo: A Presentation."- Chicago Review Vol. 14, No.1, 1960.

ريحٌ في تنداري

أعرفكِ وديعةً يا تنداري
معلّقةً ، في التلالِ الممتدة ،
على مياهِ جزرِ الله الحلوة .
تغيرين عليَّ اليومَ وإلى قلبي تنحدرين .

أتسلّقُ القممَ والمنحدراتِ الشاهقة
وبين رياحِ الصنوبر أشقّ طريقاً .
والحشدُ السعيد الذي صحبني
يتلاشى في الهواء ،
موجةَ أصواتٍ وحب :
فلتأخذني أنت ،
يا من تعلمتُ منه الشرَّ ،
والخوفَ من الظلالِ والصمت ،

وقد كانت يوماً ملاذاً أكيداً للحلاوة ،
وموتَ الروح .

الأرضُ مجهولةٌ لديك
حيثُ أذهبُ عميقاً كلَّ يوم
وأغذّي أبجديةً سرّية .
ضوءٌ آخر يعرّيك
وأنت بملابسك الليلية ،
ومباهج لا تنتسبُ إليَّ
تستريح بين جوانحك .

قاس هو المنفى
وبحثي عن السلام الذي انتهى بي إليك
تحوّلَ اليومَ إلى رغبةٍ في الموتِ مبكرة .
كلُّ حبّ وقاءٌ من الحزن .
خطوةٌ خرساء في الظلام
حيث الخبزة المرّة التي تركت
من أجلي .

فلتعودي رائعةً يا تنداري .
أيقظيني أيتها الصديقةُ الوديعة
علني أرتقي إلى السماء
من وهدةِ الحجارة ،
متظاهراً بالخوف من أجل أولئك الذين
لا يعرفون أية ريح عمقية تلاحقني .

ملائكة

كلُّ حلاوةٍ في الحياة تفتقدكِ
أيتها الأحلامُ العزيزة .
دعي الشاطئ المجهول يُقبلُ قبلَ موعده للقائك
حيثُ يتداعى الماء هادئاً
مثقلاً بملائكةٍ من أشجار خضر .

دعيها غيرَ محدودةٍ ، توّجي كلَّ ساعةٍ من ساعاتك
بالزمن الذي يلوح خالداً ،
بابتسامةِ الشبابِ ، بالألمِ ،
حيثُ بحثتِ سرّاً
عن ميلادِ النهارِ والليل .

وملابسُك بيض

وأنت تنظرين إليّ ، أحنيتِ رأسَكِ
مَلابسُك بيض
وثدياك يفلتان من الأزرار الفالتة
عن كتفك الأيسر .

يتجاوزُني الضوء
وعلى زنديك العاريين يتهاوى مضطرباً

ثانيةً أراك .
كلماتكِ كانت متسارعةً ، ملمومةً .
منحتني قلباً
بثقَلِ حياة أعرفها ، كحياةِ سيرك .

الدرب عميقاً كان
حتى أن الريحَ انحدرت
في ليالٍ بعينها من آذار ،
وأيقظتنا مجهولين
في زمن يشبه الزمنَ الأولَ البكر .

شجرة

ظلٌّ يرقُّ من ظلالك
جاعلاً ظلي يبدو ظلاً ميتاً ،
وكأنَّ مع حركتهِ ارتجف
أو تفجَّرَ ماءٌ بزرقةِ السماء
من ضفافِ «أنابو» ، من حيث رجعتُ
هذا المساء مدفوعاً بسحر آذار المقمر ،
آذار الغني بالعشبِ والأجنحة .

إنني لم أعشْ في الظلّ وحده
فالأرضُ والشمسُ ، وهِبةُ الماء العذب
جددت كلَّ غصنٍ فيك ،
بينما مضيت ، كسيراً وجافاً ،
أتحسسُ لحاءك بوجهي .

برج الحمل

في الاندفاعةِ الكسولةِ للسماوات
يعلنُ الموسمُ عن نفسه : شارة للريح ،
لشجرة اللوز ، لسهول الفيء العارية ،
لسحبِ الظلالِ والحنطة المتسارعةِ :
وحدوا شملَ الأصواتِ الدفينةِ من جديد
أصواتِ الأنهار والقنوات
والأيام الخرافية للمجد .

كل خُضرةٍ تَتفتّح .
واستكانةُ أكاليلِ الثلج
آلهةٌ وثنيةٌ عاريةٌ تغطي المياه المعزولة .
أنظر ، إنهم يطلعون من حصى الأعماق ،
رأساً على عقبٍ غارقينَ في نوم سماوي .

أرض

يا ليلُ ، يا ظلالاً رائقةً ،
يا مهدَ الأثير ،
إذا أنا شتّتُ نفسي فيك تأتي الريح
بنكهةِ الأرضِ البحرية
حيث يُنشدُ ملاحونا على الشاطئ
للشباكِ والأشرعةِ ،
والأطفالِ يقظين قبل الفجر .

يا تلالاً ، يا سهولَ العشبِ الغضّ
في انتظار الرعاةِ والفيضان ،
إن وباءك في داخلي ، يُفرغني .

يوم يطأطئ رأسه

في يومك تجدني مهجوراً ، أيها الرب ،
محروماً من كلِّ ضوء .

دونك يتملّكُني الفزَعُ ،
والدربُ الضالُ للحب ،
ولا مجدَ لي .
ولا جرأة حتى على الاعتراف ،
ورغائبي ، لذا ، يباب .

أحببتُك ، حاربتُك .
يومٌ يطأطئ رأسَه ،
وأنا أُلملمُ ظلالاً من الأعالي .
كم هو حزينٌ قلبي الذي من لحمٍ ودم .

شتاءٌ قديم

رغبةُ يديك السمحتين
في اللهبِ نصفِ المضاء .
نكهةُ السنديان ، نكهةُ الورد
والموت

أيها الشتاء القديم .

الطيورُ تبحثُ عن قوتها
فإذا القوتُ فجأةً ثلجٌ .

وكذا الكلمات :
شمسٌ صغيرة ، مجدٌ مكلّلٌ بالقداسةِ ،
ثمةَ ضبابٌ . والأشجار ،
ونحن إذ نستحيلُ هواءً في الصباح .

حزنُ أشياء لا أعرفها

كتلةُ جذور بيضاء وسوداء
معبأةٌ برائحةِ خميرةٍ وديدان ،
بُترت بفعل المياه – الأرض .
حزنُ أشياءٍ لا أعرفُها
مزروعٌ في داخلي : موتٌ آخر
أبداً أحسُّه يُثقلُ قلبي
بالعشبِ ، والمَرْج .

ثمة صوت كان لفصول تعبر خفافاً

ابتسامةٌ ساخرة خطفت على وجهك
خلفتْ بي أذى عميقاً .
صدى أشجانٍ مبرّحة
استيقظت بي لحظةَ مسّت
علائمَ البهجةِ في الجسد .

ثمة صوت كان لفصولٍ تعبر خفافا ،
عري صباحات ،
حُزمة أشعة مضطربة تتعارضُ .

ثمة شمس أخرى ، هي مصدرُ الثقلِ هذا
للمناجاةِ الصامتة للنفس .

الميت

كما لو أن أصواتاً قد تعالت ،
شفاها ظمأً للماء ،
أذرعاً تشهقُ للسماوات .

أية سماواتٍ أكثر بياضاً من جسد الميتِ
أبداً توقظني برقة .
حفاة ، ولن يذهبوا بعيداً .

غزالاتٌ تردُ الماءَ من الينابيع .
ريحٌ تعابثُ شجرَ العُرعر ،
وأغصانٌ تزدهي بالنجوم .

ضفةُ البحر الباردة

أقارنُ حياةَ الإنسانِ فيَّ
بحياتك يا ضفة البحر الباردة .
راسماً حصىً وضوءاً وغافلاً مع الموجةِ الجديدة
تلك الأخرى ، التي منحها الهواءُ صوتَه يوماً .

إذا ما رفعتِني سأصغي ،
فكل ترددٍ سماءٌ أضيّعُ نفسي فيها
وهدأة أشجاء وشفافيةٌ لليل .

مرآة

أنظرْ! على الجذع
تتفتّح البراعمُ :
خضرةٌ أكثرُ جدةً من العشب ،
بلسمٌ للقلب :
الجذع يبدو الآن ميتاً
منحنياً فوقَ الأخدود .

وكلُّ شيء يبدو لي كمعجزة .
إنني ماء المطر ذاك ،
يعكسُ في المخاضاتِ الصغيرة
حصّتَه الأشدَّ زرقةً من السماء ،
وإنني هذه الخضرة ، تتفجّرُ من اللحاء
وما كانت هناك حتى ليلةَ البارحة .

لا أحد

قد أكونُ طفلاً خائفاً من الموتى ،
خوفَ من يستدعيه الموتُ
كيْ يحررَه من الأشياء الحيّةِ كلها :
أطفالاً ، أشجاراً ، حشراتٍ .
من كلِّ الأشياء التي تملك قلباً للحزن .

لأنه لم يعدْ يملكُ مواهبَ إضافية
ولأن الشوارعَ معتمةٌ .
ولم يبقَ من أحدٍ
يقدرُ أن يعينَه على البكاء
إلى جانبك ، أيها الرب .

زقاق

أحياناً يستدعيني صوتك ،
فأية سماواتٍ ومياه
يوقظُ بي!

شبكةٌ من ضوءِ الشمس تسقطُ كالدموع
على جدرانك ، التي كانت في الليل
تأرجحَ مصابيح لدكاكين ساهرة
ملأى بالريحِ والحزن .

في أزمنةٍ أخري : نولٌ يدوّم في باحةِ دارْ
نشيجٌ قد يُسمع في ليلْ
لجراءٍ وأطفالٍ رضّع .

زقاقٌ : تقاطعُ بيوت
تُخاطبُ بعضَها بالصوتِ الخفيض
جاهلةً أن هذا بفعلِ الخوف
من أن تكونَ وحيدةً في الظلام .

بطمعٍ شرّعت ذراعيّ

بهزال الجسدِ أنا هنا أيها الرب
كما عهدتني . غبار شارع
ترفعه الريح بمشقّةٍ طلباً للغفران .

وبالرغم من أنني لم أستطعْ زمنا
من استثمار صوتي وهو بعد فجٌّ وبريء ،
بطمع شرّعتُ ذراعي إليك :
أعطنيَ معاناةً ، هي قوتي اليومي .

عند ساحة ناقونا

عند ساحةِ «ناقونا» ، وعلى المقاعدِ في الظلمة
أرخيتُ الجسدَ المتعبَ بحثاً عن راحة ،
وعيناي التحقتا بالنجوم
على امتداد خيوطِ الضوء وتموّجاته ،
النجوم التي لاحقتُها في الطفولةِ
وأنا ممددٌ على حصى «بلاتاني» ،
متهجياً صلاتي للظلمة .

بكفين معقودتين تحتَ الرأس
استحضرتُ أيامَ عودتي ،
رائحةَ الفاكهةِ وهي تجفّ على الأسيجة ،
زهورَ المنثور ، الخزامى ، الزنجبيل ،
حين فكرتُ بأن أقرأ لك هامساً

(حين كنا في خلوةٍ معاً ، يا أمي ، في زاويةِ الظل)
حكايةَ «ابن بروديغال»
التي تلي لحظاتِ الصمت عادةً
مثل إيقاع يتّسعُ مع كلّ خطوةٍ
إلى ماوراء إرادتي .

ولكن لا عودة للموتى
وما من وقت ، حين يحلّ نداءُ الطريق ،
حتى من أجل أم .
وغادرتُ مرةً أخرى ، مطوقاً بالليل
كمن يحاذرُ البقاءَ حتى الفجر .

الطريق منحني تلكَ الأغنيات
التي لها مذاقُ عرانيص الذرة الناضجة ،
والأزهارَ التي تلوّنُ بساتينَ الزيتون بالبياض
وسطَ النرجسِ وزُرقةِ الكتّان .
أصداءٌ في دواماتِ غبار ، وتراتيلُ رجال
عرباتٌ تصرفُ بمصابيح هزيلة
تخفقُ ، لا أكثر من ضوء يراعات .

ملاذ طيور الليل

ينتصب ،بدولاً وسامقاً شجرُ الصنوبر .
وبتركيز ، يُصغي فوقَ الهوة ،
وجذعُه منحنٍ مثل قوس .

ملاذُ طيور الليل ،
إذ تدوّي في الساعةِ الأعمق
بخفقاتِ أجنحتها الرشيقة .

قلبي ، هو الآخر ، ذو عشٍ
معلقٍ في الظلام ، وصوتٍ
وهو يصغي ، أيضاً ، حين يحلّ الليل .

يهجرني حتى صحبي

يهجرني حتى صحبي ،
نساءُ الحي وفتيانُ الحاناتِ ،
من قضّيت معهم الوقت كله ،
والفتاةُ ذاتُ الوجهِ المتوهج أبداً
بدُهنِ العجينة ، ماتت
والجسدِ اليهودي ، عميق السمرة .

حتى حزني لم يعدْ كما كان
وكأني لم أعد أنا ،
منسيٌّ حتى مني .

كلُّ شكل اضطرب بداخلي

شدّتني حياةٌ أخرى : وحيدٌ
بين مجهولين ، وحفنةِ كسرٍ من خبز .
كلُّ شكلٍ اضطربَ بداخلي ،
شكل الحبّ والجمال ، اللذين استمدّ
منهما الطفلُ الضلالَ والحزنَ فيما بعد .

آلة اوبو غريقة

لا تتعجّلي بعطفكِ يا قبضةَ الألم ،
في ساعةِ تهتّكي المرغوب .

آلةٌ اوبو تلفظ ببرود
مباهجَ أغصانٍ خالدةٍ ،
ليست لي ، ثم تنسى .

مساءٌ ينهلُّ في داخلي .
أماء فوقَ يديَّ المعشبتين .

أجنحةٌ ترفُّ في سماء معتمة
دون ثبات . القلبُ يهاجرُ ،
تاركاً إيايَ في هجوعٍ ،
وأيامي نثارَ حجارة .

تفجّع راهب في أيقونة

أحيا جفافاً عظيماً
أيها الإله .

الليلُ يئزُّ عالياً
مع حشراتٍ حول النار .

الحزامُ أرخى
ردائي الصوفيّ المُنتن .

وأنا سرّحتُ الجسدَ
وقد تآكلَ بفعل الدود :
يا حبّ ، يا هيكلي العظمي .

ثمةَ جثةٌ مستورةٌ عميقاً ،
تمضغ تربةً مشبّعة بالبول :

إنني نادمٌ على منحك دمي
أيها الربُّ ، يا ملاذي

فلتَمْنحني الرحمة .

دون ذاكرة الموت

الربيعُ يُطلع الأشجارَ والأنهار .
إنني لا أسمعُ الصوتَ العميقَ
الضائعَ فيكِ ، أيتها المحبوبة .

بغيرِ ذكرى الموت
لصيقِ الجسد ،
توقظنا لعلعةُ اليوم الأخير ، مراهقين .

ما من أحدٍ يُصغي لنا .
الضوءُ يتنفسُ دماً .

يداي استحالتا غصناً
قبضةَ أزهارٍ إلى جانبك .

من الزرعِ ، والحجارةِ والمياه
ولد الحيوانُ
لمهبِ الريح .

صلاةٌ للمطر

أشنات السماء
فوقَ أشياءٍ خضرٍ
مطرُ مساء مبكر .

أيها الصوتُ العاري إنني أصغي إليك :
والقلب المخددُ
استلبَ منكَ ملاذاً وثمارَ الصوت الحلوةَ الأولى .
وأنت فلتهلّلْ لي أيها المراهق الأخرس ،
أيها المأخوذ بحياةٍ أخرى
بكلّ حركةِ بعثٍ ترسلها الظلمةُ وتعبّر عنها .

يا قداسةَ الزمن السماوي
وقداسةَ صوته

ومياهِهِ المعلقة .

يا قداسةَ قلوبنا
وشرايينها المشرعةِ على الأرض .

خريف

أيها الخريفُ الرائقُ ، جمّعتُ نفسي
وانحنيتُ على مائك لأشربَ الأفقَ ،
تحليقاً ناعماً لأشجارٍ وفجوات .

ألمُ ولادةٍ مبرح
وجدني متحداً بك .
وفي داخلكِ انفجرت وها أنا معافى

شيءٌ هوى لا قيمة له
لتلملمَ أجزاءه الأرض .

غابات نائمة

يا رحمَ الحب الجاف
لسنوات ٍطوال بكيتُ
إلى جانبكَ ، منسيّاً .

غاباتُ الخضرة
والريح تنامُ رائقةَ .
سهول هامدة حيث الكبريتُ
كان صيفَ الأساطير .

وما جئتَ أنتَ لتحيا بي
أو لتكونَ نذير ألم دائم .
الأرضُ ماتت على المياه ،
أياد من الزمن القديم

تلملمُ البَرديَّ في الأنهار .
لا قدرة لي على كراهيتك :
فلتضيء ، إذن ، قلبي الإعصارى* .

* انتفع الشاعر في هذه الاستعارة من المصباح الإعصاري « hurricane lamp » وهو شمعة مزودة بمدخنة زجاجية .

هذه الليلة

من رحمك طلعتُ غافلاً
وباكياً .

ملائكةٌ يمشونَ معي
صامتين . أشياء لا أنفاس فيها .
كلُّ صوتٍ استحال حجراً ،
صمتُ سماوات مقبورة .

إنسانُك الأول
لا يعرف ، بل يحزن .

انحدرَ لي عبر براءةٍ جديدة

انحدرَ لي صوتك الليلةَ
سعيداً ، عبر براءةٍ جديدة ،
وأنا أكابدُ ولادةَ أفراحٍ كسيرةِ القلب .

ارتعشتِ بيضاءَ
مرفوعةَ الأطراف .
وأنا استرحتُ فيكِ
بكل حياتي التي تجمعت في حفنةٍ من دم .
غافلاً عن الترنيمةِ التي وحّدتني
بالمرأة التي أحب
تلك التي انتشلتني بعيداً .

يا حزن
شجرتي المُعاقة .

حيث ينتصبُ الموتى مفتوحي الأعين

سوفَ نتبعُ بيوتاً صامتةً
حيثُ ينتصب الموتى مفتوحي الأعين
والأطفالُ وقد كبروا الآن
في الضحكةِ التي تخزنهم ،
والأغصانُ تضرب النوافذَ الصامتةَ
عند منتصفِ الليل .

نحن أيضاً سوف نملكُ أصواتَ الموتى
هذا إذا ما كنا أحياء أصلاً
أو أن قلبَ الغاباتِ والجبال ،
ذلك الذي قادنا لمنحدرِ الأنهار ،
يرغبُ بأنا لسنا أكثرَ من حلم .

أعطني يومي

أعطني يومي
علّني أبحث ثانيةً
عن وجهٍ هادئ للسنوات
أو علَّ غورَ المياه
يبقى أميناً لشفافيته
فأحزن ، ربما ، من أجلِ نفسي .

إنني أخطو على قلبك ،
والأنجمُ التي تلتقي ليلاً
في أرخبيلاتٍ لا تنام ،
تُشبه أخوةً لي .

متحجراتٌ تطلعُ من موجةٍ متعبة .

انحناءةُ مداراتٍ سريّة
حيثُ نُدفعُ
مع الصخورِ والحشائش .

نقاهة

أحسُّ موتاً آخرَ مجهولاً
يستحيلُ حباً ، ولكن أكثر من هذا
الذي لا يني يشدّني لأشكاله .

خمائر العشب البحري :
أتقصّى النفس في التآلفات المظلمة
لليقظات العميقة
على الضفافِ الكثيفةِ للسماء .

الريحُ الطيّعة
تتشرّبُ بدمي
فهي حطامُ سفينٍ وصوت
وأياد تولدُ ثانيةً :

أياد تلتحمُ ببعض أو راحة تعصر أخرى
تنبسطُ بإذعان .

القلبُ الظامئ الأسيان
ممتلئٌ رهبةً تجاهكِ
أيتها الطفولةُ الصافية .

الملاك

الملاك ترقدُ
على ورودِ الأثير ،
بيضاءَ ، وإلى جانبها
يدان محببتان تقاطعتا
في ظلِّ الحضنِ الدافئ

صوتي أيقظها الآن
فابتسمتْ لي
مرقِّشةً باللقاح
وجنتَها المستريحة .

إنها تغني . قلبي لا يهدأ .
سماءُ مبهمةٌ للفجر .

الملاكُ لي
وقد استحوذتُ عليها : باردةً .

متغير شأن النجوم وهادئ

وإذ تغمرك البهجةُ التي بي ،
فإنما هي كتلةُ ظلال .
ما من شيء يعزي الآن غيرُ الصمت :
فصفحةُ الهواء والتلالِ التي لا تهدأ
لا تشبعُ من جوع .
رغم أن الضوءَ يدور على محور سماواتهِ العميقة
حتى حدودِ الظلمة .

متغيّر شأنَ النجوم وهادئ
ليلٌ يطردنا بخداع خاطف :
حجاراتٍ يتأكلها الماءُ عند كل مصب .

أطفال نائمون مازالوا في نومك .

ولكنني أسمعُ أحياناً عواءاً
ينمو ويصبحُ جسداً ،
واصطفاقَ أكفّ وصوتاً
يلقى إلى أشياء حلوة مجهولة .

تصبح ظلمةً ومرتفعاً

أنت تقبل داخلَ صوتي ،
وأنا أرى الضوءَ الهادئ
ينحدر بحزمةِ أشعةٍ في ظل
جاعلاً من نجمةٍ سحابةً حول رأسك .
وأنا على غير يقينٍ يأخذني العجب من الملائكة ،
من الموتى ، من الهواء مضاءاً في قوس .

لست لي ، ولكن طلعت ثانية
في الفراغ ، أنت تضطرب بي ،
تصبح ظلمة ومرتَفَعا .

يوم أول

طمأنينة مياه متّسعة
توقظني في عمق إعصارات قديمة ،
وحشٌ مضطربٌ صغير .

النجوم في غمرة ظلامي
تلك التي تتقوضُ معي
في كواكبَ أرضية يباب ،
بين أخاديد أفجار خاطفةٍ لا وزن لها :
حب صخور وسُحب .

دمي ، أيها الرب
هو دمك : دعنا نموت .

مجرى أنهار في نوم

أجدك في المهابط السعيدة
دفء فرحٍ جديد ،
تناغم ليلٍ ،
يُبعث الآن ،
عطيةً مُرةً للعيش حيث لا مَخرج .

مجرى أنهارٍ بكرٍ
تضطربُ في نوم .

وأنا مازلتُ الوافرَ النماء ، يُصغي
متوقعاً من الصمت ترداد اسمهِ
يومَ يُستدعى الموتى .

حيث الفضاءُ في قلبي
موت .
ينضجُ الآن ضوء ، هو ثمرةٌ أولى للشمس
أيقظته محتضناً
الهيئاتِ المرورة للأشجارِ .
في تلك الليلة امتزجت
حسرةُ المياه بالكلمات .

آمين
ليوم أحد في البِسْ

أنتَ لم تخدعني ، أيها الرب :
إنني الوليدُ البكرُ
لكل أسىً .

مقاطع لـ «ايراتو»*

لك ينحني القلبُ في عزلتهِ
منفى حواسٍ كليلة
في تتحولُ وتحب
ما كان يبدو ملكاً لنا يومَ أمس
واليومَ مقبوراً في ليل .

أنصافَ دوائر من هواء تشع
على وجهك . والآن تتضحين لي
لحظةَ تبدأ الرغائب بالإيلام ،
وجعلتني شاحباً ، حيث استرخى فمك
داخلَ نورِ ابتسامتك .

---

* إيراتو : واحدة من تسع آلهات يونانيات . راعية الشعر الغنائي الشهواني .

فيَ امتلاكِكِ فقدانُكِ .
وما عليّ أن أحزن : فما زلتِ جميلةً ،
ثابتةً في هدأة النوم :
هدأةُ الموت هي الفرح النهائي .

أغنية لملاك الجحيم

أيها الليل الدنيوي ، أحياناً كنت أنعمُ
بنارك بالغةِ الصغر ،
وأنحدرُ بين الفانين .

رأيتُ الإنسان
ينحني على رحمِ محبته
ليصغي إلى نفسه وهو يولد ،
يتحول ، ويُسلِّم للأرض ،
بيدين متعانقتين ،
وعينين وعقل لذعتهم الحروق .

حدث أني أحببتُ . يدا مخلوقِ الليل باردتان :
جمعتا رعباً عميقاً في السرير الواسع

حيث استيقظت عند الفجر ، مصغياً
لأجنحة حمام تخفق .

حينها أثقلت السماء جسدَها الساكن بالغصون :
والمياهُ عبّأت البحار بالكآبة .

يا حبي ، إنني أأسى هنا ،
خالد ، ووحيد .

ملاك الجحيم (Apollyon)

الجبال تتمدَدُ هامدَةً ،
مرهقَةً في نومها الكئيب .

ساعة الموت الممتلئ قد وُلدت
يا ملاكَ الجحيم .
أطرافي مازالت كسْلى
وقلبي ، كثيرَ النسيان ، يتأمّل .

من هذه الجراحِ المنسية
أمدّ يداً إليك ،
أيها الحبيب المدمر .

على تل «تيري بيانتشي»

فُقت اليومَ في التواصل
مع الأشجار أذللتُ نفسي .

شيء أكثر عقماً
صديق الخضرةِ الموجعة ،
صديق السحب الباردة
مستسلمةً للمطر .

بحرٌ يملأ الليل ،
والعواء غرق في جسد ناحل
يتعجل أمراً بكيد .

يا صدى الأرض ، أيها المحب ،
إنك تواسينا بالعذابِ البطيء .

إنني حطامٌ في ضوئك

مولودٌ في حطام ضوئك
يا مساءَ المياه الرائقة .

الهواءُ الملتهبُ يتعزّى
بهادئات الغصون .

مُقتلعٌ من الأحياء
أنا قلبٌ ، بديل مؤقت
وأرضٌ غير آهلة .

أحاول جهدي ، مجاراة قدرتك الفائقة
مع الكلمات ، أيها الرب .
أيقظني من سبات الميت بي :

كلٌّ إنسانٍ يملك أرضَه ،
وامرأته .

أنت تبصّرتَ في داخلي
في عتمةِ أحشائي :
ما من أحد يحتضنُ في قلبه
يأساً كيأسي .

إنني رجلٌ مقطوعٌ
وجحيمٌ مفرد .

أرق

اندفاعةٌ فرحةٌ لمخلوقاتٍ مجنّحة
في غير ألفة مع الضوءِ الأخضر ،
البحر في الغصون .

نشازٌ أنا . والزمنُ
يمزق كلَّ وليد للفرحِ في داخلي .
وبمشقة يحفظ أصداءه في صوت الأشجار .

الحبُّ ضائعٌ ، هكذا أرى ،
ولا إنسانية في الذكرى .
أثرُ الجرح السماوي يشعُّ على جسدِ الميت ،
أجسادٌ مرصّعةٌ بالنجوم تسقط في الأنهار .
ساعةٌ تنمو جشّاءَ مع المطرِ الناعم ،

أو تبعثُ لحناً في هذا الليلِ الأبدي .

لسنوات طوال أنا نائمٌ
داخلَ زنزانةٍ مفتوحةٍ في وطني ،
أعشابُ بحرٍ تزاحم بالمناكب مياهاً رماديةً :

نيازكٌ تهدرُ في هواءٍ ساكن .

جزيرة يوليسيس

هادئ هو الصوتُ القديم .
وأنا لأصواتٍ سريعةِ الزوالِ أُصغي ،
لسلوانِ الليلِ العميق
في الماءِ المطعّم بالأنجم .

جزيرةُ يوليسيس ترتفعُ
في النيران السماوية .
أنهارٌ كسلى تحملُ أشجاراً وسماواتٍ
في رعد الشواطئ المقمرة .

النحل يأتينا بالذهب ، أيتها الحبيبة :
الزمنُ السرّي للتحولات .

طرائد

أبجدية ظلالٍ وغصونٍ :
حيث الموتى على العشب
يمارسون الجنسَ ، مهجورين .

إنني أصغي . للموتى ، لليل ،
ولي مراةُ قبورٍ ،
مرآةُ طرائدَ أرزٍ أكثر خضرة ،

مرآة مناجمَ فحمٍ ،
لها وقعُ أبياتٍ مترعةٍ باللحن .

في الزمن الإنسانيّ الحق

في رياح الضوءِ العميقِ تضطجعُ
حبيبتي المنسوبة لزمن الحمام .
وحدكِ بين كلِّ الأحياءِ ، يا حبيبتي ،
من يحدثُ عن المياهِ والغصونِ وعني ،
وصوتُكِ يواسي الليلَ العاري
بالحماس المتّقدِ والمسرّة .

الجمالُ يضلّلنا ، يُلاشي
كلَّ ذاكرةٍ وشكل ،
الهفوةُ والزَّلةُ تنكشفُ للمشاعر
عاكسةً كمرآةٍ الإشراقات الدفينة .

ولكن من أعماقِ دمكِ ، دون أوجاع ،

في الوقتِ الإنساني المناسب ،
سنولدُ ثانيةً .

العَقْعق يضحك أسودَ في أشجار البرتقال

علامةٌ لحياةٍ حقة ، من يعرف!
يتحلّق حولي أطفالٌ ، رؤوسهم
حركةُ الضوء ، رقصٌ في حلقة
أغانٍ وأصواتٍ على العشب بجوار الكنيسة .
رحمةُ المساء ، ظلال تضطرمُ من جديد على خضرةِ العشب ،
جميلة تحت توهّج القمر .
الذاكرةُ تسبح في نومٍ خاطف .
فلتستيقظ الان . وآصغِ حيث يصخَبُ البئر مع أوّلِ المدّ .
حانت الساعة : حيث لا ساعة لي
احترقت وأمستْ صوراً نائية .
وأنتِ ، يا ريحَ الجنوب ، المثقلةَ بعطرِ البرتقال ،
ادفعي بالقمر إلى حيث ينام الأطفالُ
عراةً . أَخرجي المهرَ إلى الحقول

المبتلةِ بحوافرِ الخيولْ .
افتحي البحار ، وارفعي السحبَ عن الأشجار :
الآن يتحرك ماك الحزين باتجاه المياه
وعلى مهل يتنشق الطين بين الأشواك .
العقعقُ يضحكُ أسودَ في شجرة البرتقال .

شارع في Agrigentum

الريحُ التي أتذكّر مازالت هناك
مهيّجة أعرافَ الخيول العداءة
على امتدادِ السهول .
ريحٌ تلطخ وتنخَر حجارةَ الرمل
وقلبَ التيلامون الحزين منطرحاً على العشب .
أيتها الروح القديمة الشائبة بالمرارة
ترجعين مع الريح ، تتنشّقينَ
الأشناتِ الرقيقة وهي تكسو
الاندفاعةَ العظمى الهابطةَ من السماء .
كم أنتِ وحيدةً في الفراغ الذي بقي لك خالصاً .
وما أكبر أساكِ إذ تسمعين ، ثانيةً ، الصوتَ
وهو يندفعُ بعيداً وينفتحُ على البحر
حيث تتسلل نجمة الصباح .

يرنّ
حزيناً في حنجرة سائق العربة
وهو يتسلّق ، بطيئاً ، التلَّ المقمر
وسط همهمةِ أشجار زيتون عربية .

التل الوديع

طيورٌ بعيدة ، تياهةٌ في المساء ،
تحلّقُ فوق النهر . والمطرُ ملحٌ ،
وهسْهسةُ الحور مضاءةٌ بفعلِ الريح .
وككل شيء ناء
جئتِ ذاكرتي ثانيةً
خضرةُ ملبسك الشفافة متوهجةُ الإضاءة
هنا بين الشجر ، حيث يرتفع تلٌ «آردينو» الوديع
والحدأة تعرّج على مراوح الذرة .

قد أتشبّثُ بذلك الطيران اللولبي ، المغلق على نفسه .
خادعاً لدى عودتي القسوةَ-
الرحمةَ المسيحيةَ المدحورة ،
وهذه الكفّارة العاريةَ للألم .

في شعركِ وردةٌ مرجانية اللون
ولكن وجهكِ ظلٌّ لا يتغير .
(الموت يفعل هذا) . من البيوتِ المظلمة
لحيِّكِ أصغي
إلى «آدّا» ، وإلى المطر .
أو ربما لخشخشةِ خطواتٍ إنسانية
بين القصبِ الناعمِ للضفاف .

ما المسألة يا راعي الهواء؟

ها هو ثانيةً ، نداءُ بوقِ الراعي القديم
خشناً في القنواتِ المائية
أبيضَ بجلد ثعبان مسلوخ .
ينطلق من مرتفعاتِ «اكواقيڤا» ، ربما
حيث «بلاتاني» يغلفُ محاره ،
تحت الماء وبين أقدامِ الأطفال ،
بقشورِ الزيتون . أو من آيةِ أرضٍ
تندفعُ عصفةُ ريحِ السجينِ بصداها
داخلَ الضوءِ الذي يتقوّضُ الآن؟
ما المسألة يا راعيَ الهواء؟
أتستدعي الموتى .
أنتَ يا منْ لا تصغي معي لشيء ،
مرتبكاً بفعلِ البحر ، والصدى المترددِ ،

متناغماً مع النداء الخفيض لصيادي الأسماك
وهم يسحبونَ الشباك .

أمام تمثال إيلاريا ديل كاريتو

تلألُك الآن تحتَ القمر الرائق .
على امتداد «سيرجيو» تتهادى الفتياتُ
بثيابهن الحمر الفيروزية . أيتها العزيزة
وأنت في تمام عمرك الحلو ، تزداد «سيريوس»
شحوباً ، ومع الوقت تزداد بعاداً ،
ويحتدمُ النورسُ فوق الشواطئ المهجورة .
العشاق يرسلون الخطا دون هموم في هواء سيبتمبر ،
وإيماءاتهم لا تخلو من ظلالِ كلماتٍ تعرفينها .
لا يثقلهم أسفٌ . فأيُّ شيء يثقلك
يا أسيرةَ الأرض؟
تُركتِ وحيدةً هنا .
رِعْدتي ، رعدةُ الغيظ والخوف ، قد تكون رعدتَك :
ناء هو الميت ، والحيّ أكثر بعداً ،
يا صحبتي الصامتة .

الآن يطلع الفجر

الليلُ انتهى والقمر
يتلاشى في السماءِ المفتوحة
يدخلُ القنوات .

سيبتمبرُ حيٌّ في أرضِ السهوبِ ،
والحقول خضر كما في ربيع وديانِ الجنوب .
هجرت أصدقائي ،
وقلبي أخفيتُه داخلَ الجُدر العتيقة
من أجلِ أن أكونَ وحيداً لحظة استعادتك .

أبعدُ من مدى القمر أنتِ
الآن يطلعُ الفجر
وحوافرُ الخيول تصلصلُ على الحجارة .

المطر معنا الآن

المطرُ معنا الآن ،
يُرجفُ الهواءَ الساكن .
السوسنُ ينزلق على سطحِ المياه الآسنة
لبحيرات «لومبارد» ،
ينقض ، شأن النوارسِ ، على صغير السمك .
ثمة رائحة قش وراء أسيجة الحديقة .

سنةٌ أخرى تحترق ،
وما من تفجع ، ما من بكاء
يرتفع من أجل استعادة يوم واحد .

في مساء ما، أثلجت

بعيداً ، وراء أبوابٍ مغلقةٍ ، أسمعُ
صرختَك الحيوانية المفجعة .
لذا يُعولُ الهواءُ بين طياتِ أرديةِ الرعاة
في القرى العاليةِ الصغيرة تحت ريحِ الثلج .

خدعةٌ خاطفةٌ في وجهِ الذاكرة :
الثلجُ يسّاقطُ هنا ويحفر الأسطحَ ،
يضخمُ قناطرَ «لازاريتو» القديمة ،
فيما غرق «الدب» أحمرَ في الضباب .

أين بشرة أنهاري ولونُها ،
أينَ جبين القمر في الصيف ،
متورماً بفعل لسعاتِ الدبابير القتيلة

إن تفجّعَ صوتك الخفيض في عَتْمةِ كتفيك
يبقى ، يُعولُ لغيابي .

السفينةُ المبحرةُ عاليةُ الشراع

حين حلّت طيورٌعند بيتي
محرّكةً أغصان الأشجارِ المرة
(مخلوقاتٍ كنَّ مجنحةً ، عمياءَ وليليّة
يَنْبشنَ اللحاءَ لأعشاشهن)
صوبتُ الوجهَ إلى القمر
ورأيتُ سَفينةً مبحرةً عاليةَ الشراع .

على حافة الجزيرةِ كان البحرُ ملحاً .
اليابسة امتدّت وتراءى الصَدفُ القديم
مقيماً في الصخور
عند خليج الليمون .

حينها قلتُ لمن أحبّ ، وثمرةُ حبِّنا في أحشائها لا تَهدأ ،

وبفعلِ ذلك سكنَ روحَها البحر :
«يُقلقني هذا الخفقُ المتواترُ للأجنحة
لمجاذيف ، وعواءُ البوم كما يعوي الكلب
حين تمسّ القصبَ رياحُ القمر .
عليَّ أن أهجرَ هذه الجزيرةَ ، أن أغادر
قلت : «الوقتُ تأخرَ ، ياحبي ، دعنا نبقى»

فبدأتُ ببطء أُحصي
ما يحمله الهواءُ إلى عينيّ
من انعكاساتِ البحرِ الحادة
لهيئة السفينةِ الشاهقة .

على ضفافِ «لامبرو»

ذاكَ اليومُ تلاشى من بين يدينا
في الماءِ بصحبةِ سفنٍ مقلوبة ،
غادرنا الصنوبرُ
(بقايا دخانٍ فوقَ البيوت)
وغادرتنا الجبهةُ البحريةُ ملاذُ الناسِ في تعطّلهم
بأعلامها الصاخبة
كجيادٍ صاهلة .

في التدرّج الرائقِ للألوان
ذلك الذي يتصاعدُ مع أفولِ القمر
ويحددُ أطرافَ تلالِ «بريانزا»
تظلّ مسحوراً تتحركُ
بتوانٍ كأوراقِ غصن .

النحلُ يرقى ، وقدْ تحرّرَ من عسلِه ،
خفيفاً بغنيمتِه من القوت
والتماعةُ «بليادز» في تغيّرٍ الآن .

عند النهر الذي أنعشَ بالاستدارة
الوادي الخلاء ،
تتجدّدُ طفولةٌ باللعبِ مع الغرائز .

إنني أسلمُ نفسي لدمها
متألقاً على الجبين ،
لصوتها وقد استعذبَ الألم
فاجعاً في صمت الصدر .
كلُّ ذاك الذي هجرني ضائعٌ الان .
في شمالِ وشرقِ جزيرتي
تعصفُ ريحٌ من الصخور
باتجاه الماءِ المحبّبِ : وفي الربيع
تكشف عن قبور النوتيين .
الملوك الذهبيون زيّنوا أنفسَهم بالأزهار

ثمة نظام يثبتُ في الأشياء
أثرٌ لتقوىً دائمة
ومنفىً مُستعاد :
على حافةِ منحدرِ الصخرةِ
يتدحرج الجلمودُ إلى الأبد ،
والجذر يقاومُ أنيابَ حيوان الخُلْد .
وفي عمق مسائي تتنقل طيورٌ
بنكهةِ البرتقال
بين أشجار الكالبتوس .

هنا ، مازال الخريف
يسكنُ قلب الأشجار . ولكن الحجارة
تتسارعُ في رحم الأرض .
والأزهار ذات الأعناق تخترقُ الأسيجة .
والدفء الإنساني للتويجاتِ المشعرة ،
لم يعد يثيرُ في الرأس اشمئزازاً .

وأنت يا من يُصغي ابتسم في أعماقك ،

ورقفي ، أيتها الشموس ، شعرَ الفتيات الطليقات ،
أفراحهنَّ اللطافَ ومخاوفهنَّ الخبيئة ،
وإشفاقةَ الدموعِ العصية
تفيضُ ثانيةً في الزمنِ الرتيب!
ولكن يا صنوَ الخريف ، كم خبيئة حياتك .

هذا الليل يستقرُّ ، هو الآخر .
في آبار التلال .
والدلو يصل دائرةَ الفجر .
عبرَ النوافذ تعودُ الأشجار
مثلَ سفن مورّدة .
أيها المقرّب العزيز ،
كما كان الموتُ بعيداً عن الأرض .

مساءٌ في وادي «ماسينو»

في فضاءاتِ التلالِ طوالَ الشتاء
صمتُ ضياءِ السفنِ المبْحرة .
صورةٌ باردةٌ تُبحر أبداً
تستعيدُ نشاطَها هنا من جديد .

الضفدعُ وهو ينمو أخضرَ ورقةُ غصن .
وحشرةُ الشوك
تنقضُّ على ريّانِ العشبِ في القنوات .
الطواحين تحاولُ عجلاتِها
مهجورةً ، في الماء المطواع .

لن أُصغي ثانيةً لهدير البحر
على سواحل الطفولةِ الهومرية ،

الرياح الجنوبية–الغربية تتفجّع
على امتدادِ الجزر من الليلةِ المُقمرة ،
نساءٌ يعولْنَ على الموتى ،
ويُغنّينَ حلاوةَ أيامِ الأعراس .

وأنت ، كالأرض تَتّضحين ثانيةً
خشنةً ، أحياناً ، ومُضللةً
وتَواريكِ عن الحياة لا يتطلب إلا وقتاً ضئيلاً .

في ثياب طفلك الملوّنة
تحاولين خطوةً خاطفة
إلى الدُفّ ذي الصوتِ الذي يشبه الليل .
في حين يتلاشى وجهك بطيئاً
في ضرباتٍ وانقطاعاتٍ مُتعبة .

الآن ترجعُ الحقولُ إلى الوادي
الغربانُ تنوح عالياً .
أيّ حضورٍ جليّ للحياة ، أيتها العزيزة!

في المعابد تبدو إشارةُ المساءِ وأصواتُه
ترنيمةً عاميةً وفارغة .

من يومي لم يبقَ شيء
يباغتني المللُ بثباتٍ ،
مشفقاً على كل فرحة تلوح
وسرعان ما يتصلّبُ عند الجذور .

أيها الليلُ الهادئ ،
يا إرادةَ الائتلافِ المتفوّقة
سوفَ أُلزم نفسي بالحدّ المحكم
للحكمةِ الصادقة
مع كلِّ البردِ المثيرِ للشفقة
المقفلِ داخلَ جسدي .

أبطال القمر والبراكين

«إلى ابنتي»

الجزرُ التي كنَّ بيتي
خضرٌ في البحر الساكنْ .

الطحلبُ الجافُ والأحافيرُ البحرية
شواطئ عليها تعدو
خيولُ القمرِ والبراكين .

في زمنِ انهيالِ المنحدرات
تهاجمُ الأوراقُ والكراكيُّ الهواء :
وبفعلِ توهّجِ ضوءِ الفيضان
تنفتحُ السماواتُ الكثيفةُ على النجوم .

الحمام يطير

من أكتافِ الأطفالِ العارية .

هنا تنتهي الأرض :
وأنا بالدمِ والعملِ
صنعتُ من نفسي سجناً

من أجلك سيتوجبُ علي
أن أُلقي بنفسي على أقدامِ الآلهة
مُرققاً قلبي المنهار .

ولكن بفعلِ ازدراء الآخرين
مازلتُ أمتدّ في التماعةِ الضوء ،
طفلاً بذراعينِ مشرعين
بمحاذاةِ الضفافِ والأشجار :

هناك تجعلُ الطريدةُ
من شجرةِ البرتقالِ الإغريقيةِ شجرةً مثمرة
من أجلِ عُرس الآلهة .

على أغصان الصفصاف

ونحن ،
وهذه القدمُ الأجنبية تربض على قلوبنا ،
بين القتلى المهجورين في الساحات
وعلى العشبِ المتحجّرِ بفعل الثلج ،
كيف يتسنّى لنا الغناء
لثُغاء الأطفال ،
لعواءِ الأم الأسود
وهي تهرع باتجاه ولدها
المصلوبِ على عمود؟
وقيثاراتُنا ، هي الأُخرى ،
معلقةٌ على أغصانِ الصفصافِ كقربان
تتأرجحُ بخفة في الريحِ الحزينة .

رسالة

هذا الصمتُ المعلقُ في الشوارع .
هذا النسيمُ الواهن
وهو ينحدرُ بينَ الأغصانِ الميتةِ ، أو يرتفع
حيثُ ألوان الرايات الأجنبية . . .
ربما يطمعُ ببضع كلماتٍ يقولها لك
قبلَ أن تُقفَلَ السَماءُ ثانيةً
على يومٍ آخرَ ،
على تراخٍ ، ربما ، هو هفوتُنا الأردأ . . .
ليست حياةً . . . هذه النبضاتُ المظلمةُ المروعةُ للقلب ،
هذه الشفقة .
إنها ليست أكثرَ من خديعةِ الدمِ
حيث الموتُ في وردة .
آه يا غزالتي الحلوة ، كم أتذكرُ حُمرةَ الجيرانيوم

التي تنتسبُ لكِ مشعةً على جدارٍ مثقَّبٍ بالرصاص .
أم الموتُ ، حتى الموت من أجلِ الحب ،
لم يعد يعزّي الحياة .

١٩ كانون الثاني ١٩٤٤

أقرأُ لكِ الشعرَ الرائقَ للعصور القديمة
والكلماتِ ، تولدُ من مشاتلِ الكرْمِ
ومن شِباكِ على ضفافِ الأنهار الشرقية
كم تنزلُ ندّابةً ومهجورةً في هذا الليلِ الأليلِ للحرب ،
حيث لا أحدٌ يجرؤ على الطيران
في سماء ، ملائكةِ الموت ،
ونحن نصغي للريحِ تتوعد بالخراب ،
خاصةً صفائحَ المعدن
تلك التي تفصلُ بين الشرفاتِ هناك ،
والحزنُ تفشيه الكلابُ وهي تنبحُ في الحدائق
على صوتِ رصاص العسَسِ في الشوارع المهجورة .
أحدٌ ما حيّ . أحدٌ ، ربما ، حيٌّ .
ولكننا هنا غارقون في الإصغاءِ للصوتِ القديم

نبحثُ عن علامةٍ تتجاوز الحياة
س سحر الأرض الأسود
حيث يُطلعُ العشبُ الفاسدُ زهرته
حتى بين القبور.

ثلج

يحلُّ المساء : فتتخلّينَ عنا ثانيةً
أيتها الصورُ العزيزة للأرض ، أشجاراً
حيوانات ، فقراء مُدّثرين بمعاطف الجنود
أمهاتٍ جفّت بطونهنَّ بفعل الدموع .
وثلجاً يضيئنا كالقمر عبرَ الحقول .
آه ، هؤلاء الموتى!
فلْتلطموا جباهكم ، فلتلطموا انحداراً للصدر
علَّ أحداً ما يُعولُ في الصمت
في هذه الاستدارة البيضاء للقبر .

ليل الشتاء

ليلُ الشتاء ثانيةً ،
برجُ القريةِ يقطرُ ظلاماً ،
ضبابٌ يغمرُ النهر ،
سرخسٌ وأشجارُ شوكٍ . أيها الرفيق
لقد خسرتَ قلبك : فما لنا من متّسعٍ بين السهوب .
هنا تنوح بصمتٍ على أرضكَ :
بأسنانِ ذئب تعضّ على منديلكَ الملوّن :
لا توقظ الصبيَّ النائم إلى جانبكَ ،
قدمُه العاريةُ مغطاةٌ بالظلمة .
ولا تدعْ أحداً يذكرنا بأمّهاتنا ،
لا أحداً يخبرنا عن حلم الأهل .

ميلان ، آب ١٩٤٣

عبثاً تبحثين في الغبار
أيتها اليدُ المسكينة ، فالمدينة ميتةٌ
ميتةٌ : وقد سُمعتْ على قلب «ناڤِجليو»
آخر همهمةٍ .
العندليبُ يسقطُ من ساريةِ العلم
المستقرّةِ أعلى الدير
حيث غنّى مرةً قبلَ مغيب الشمس .
لا تحفر آباراً في الفناءات ،
فالأحياءُ فقدوا إحساسَهم بالعطش .
والموتى ، منتفخين قاني الحمرةِ ، لا تمسسْهم
أتركهم على ترابِ بيوتهم .
فالمدينة ميتة . ميتة .

آه يا حيواناتي الوديعة

الآن يُفسد الخريفُ خضرةَ التلال
يا حيواناتي الوديعة . وقبل أن يحلَّ الليل
نسمع ثانيةً آخرَ ترنيمةٍ للطيور ،
نداءَ السهل الرمادي وهو يندفع
باتجاه ضجيجِ البحر العاتي .
ورائحةُ الغابِ تحت المطر .
نكهةُ الحفرِ الرطبةِ ، أيّ شذا هنا
وسط الرجالِ والبيوت ، يا حيواناتي الوديعة .
هذا الوجه بالمقلة الكسولة .
وهذه اليدُ التي ترتفعُ حيثُ قصف الرعد يجلجلُ ،
هي لك ، يا ذئابي ، وثعالبي ، ومخلوقاتي الوديعة
المتحرّقة الدماء .
كلُّ يدٍ وكلُّ وجهٍ هو لكنَّ .

انتن من أخبرنني بعبثِ كلّ شيء ،
الحياة ، والأيام التي انقضت باندفاعةِ الماءِ الجارف؟
في الحديقة أطفالٌ يغنون .
أهم بعيدون عنا؟
تتلاشى أصواتُهم في الهواء كالظلال .
صوتك .
ربما أجهلُ أن كلَّ الذي كان باطل .

الحج

إذن ، أعودُ إلى الساحةِ الصامتة .
على الشرفةِ ، وحيداً ، يرفرفُ علمُ العطلةِ الماضيةِ .
أظهر ثانيةً ، أقول . ولكن الصدى
من أحياء الحجارة المهجورة
لا يخدعُ إلا العصر الذي يتطلعُ للسحر .
كم مضى من الوقت مذْ توقّفَ غيرُ المنظورِ عن الإجابة
يومَ أهتفُ ، على عهدي ، في الصمت .
أنتَ ذاهب ، وتَرحابك لن يحظى بهذا الحج .
السعادةُ لن تكشفَ عن نفسها مرتين .
والضوءُ الأخير يضرب على الصنوبرِ الذي يملأ رأسي بالبحر .
صورةُ المياه خواءٌ هي الأخرى .

أرضنا بعيدةٌ في الجنوب

حارةٌ بفعل التفجّع والدموع
وهناك نساءٌ بالشالَاتِ السود
يتحدثن على أعتابِ بيوتهن
بأصوات مقموعةٍ عن الموت .

العبّارة

من أيّةِ وجهةٍ تنادي؟ فالضباب
يردّدُ بوهن صداك . لقد حانَ الوقت .
ثانيةً تقفزُ من الأكواخ
الكلابُ الضاريةُ إلى النهر على أثرِ الرائحة .
وابنُ عرس مضاءٌ بالدماء
شازرُ النظر على الضفة البعيدة .
هذهِ العبّارةُ أعرفُها :
هناك ، في الماء ، ترتفع الصخورُ السوداء
وكلُّ هذه السفنِ التي تمخرُ في الليل
بمصابيحها الفسفورية .
أصبحتَ بعيداً الآن
ومع ذلك فلصوتِك صدى لا تُعدّ طبقاتهُ
وإيقاعُه عصيٌّ على أذني .

ولكنني أراك : بالبَنَفسجِ في قبضةِ يديك ،
شاحباً ، تحيطُ عينيكَ الجلدةُ الممروضة .
فما أنت إلا ميتٌ بين الأموات .

قدمك الصامتة

ها هو البحرُ . والصُبّار أزهرَ الآن
النهرُ مشرقُ اللون ، فيّاضٌ
بمحاذاةِ قبورٍ قديمةٍ أثقلتْ جدرانها أقراصُ العسل ،
وفي المرايا فتيات ، بالابتسامةِ والشعر الأسودِ المرسل .
ثمة واحدة إلى جانبك على ضفافِ «ايونك»
(نحلةٌ تشفّ نعومةُ العسل في عينيها)
تركت أثراً من التماعةِ اسمٍ في ظلِّ الزيتون .
ما من مخلّصٍ لك :
أنتَ تعرف أن يوماً سيشرق على محيّاكَ
مثلَ أي يوم آخر .
تغيّرٌ خاطفٌ للضوء
حولَ الدائرة التي تطوّقُ وتنغلق
وراء فجوةِ القمر

حيث تسعى قدماك بصمت
عابرةً عالمَ الموتى .

رجلُ مرحلتي

مازلتَ أنت بذاتِ الحجارةِ والمقلاع ،
رجل مرحلتي . في مسرحِ المعارك
كنتَ هناك ، بأجنحة الشرّ ، مزاولِ الموت ،
-رأيتُكَ- في مركبةِ النار ، عند المشانق ،
عند عجلاتِ التّعذيب ، رأيتُكَ ، كنتَ أنت
بمعرفتِك المأخوذةِ بالإبادة ،
حيثُ لا حبٌّ ، ولا رحمة .
وكالسابق قتلتَ ثانية ، شأن آبائك ،
وشأن الحيوان المفترس الذي رآك أولَ مرّة .
وهذا الدمُ بالرائحةِ ذاتِها
يوم قالَ الأخُ لأخيه : «هيا لنخرج إلى الحقل»*

* العهد القديم . التكوين ٨/ ٤

وذلكَ الصدى المتماسكُ البارد انحدرَ إليك أيضاً
في يومكَ هذا .
فلتنسوا أيها الأبناء ، سحابةَ الدم
وهي ترتفعُ من الأرض ، فلتنسَوا آباءكم :
فقبورهم غرقت في الرماد ،
والطيورُ السودُ والريح تغطي قلوبهم .

لون المطر والحديد

أنت قلتَ : إن الموتَ ، الصمتَ ، العزلةَ
تشبه الحب والحياة .
كلماتُ خيالنا العشوائي .
كلَّ صباح ترتفع الريحُ خفيفةً ،
والزمنُ بلون المطرِ والحديد
يعبرُ الحجارةَ ، يعبرُ لحننا المكتومَ لحنَ الهالكين .
الحقيقةُ مازالت نائية .
أخبرني ، أيها الإنسان المشْرَعُ على الصليب ،
بيديك المخثَّرتي الدماء ،
كيف يتسنّى لي إجابةَ السائلين؟
أخبرني ، الآن .
قبل أنْ يملأَ صمتُ آخر أعيننا ،
قبلَ أن ترتفعَ ريحٌ أخرى ،
ويزهرَ صدأٌ آخر .

ANNO DOMINI MCMXLVII

توقفتَ عن قرعِ الطبول
مع تساقطِ الأوراقِ الميتةِ على امتدادِ الآفاق
وراء التوابيتِ المكفّنة بالأعلام . توقفتَ
عن استسلامكَ للجراحِ والدموعِ لترثي
ركامَ الخرابِ في المدنِ المدمّرة .
وما من أحدٍ يصرخ «أيها الرب
لم هجرتني؟»
فما من حليبٍ أو دمٍ يفيض من الصدر الشائه .
والآن ، وأنت تخفي الأسلحة بين أزهار المغنوليا ،
دعنا ، ليوم واحدٍ دون سلاح ،
على العشب ننعم بصوت الماء المتدفق .
أوراق قصب يانعة في مفارق الشعر
وبأحضاننا النساءُ اللواتي نحب

ما من إعلان في الغروب
عن منع مفاجئ للتجول .
من أجلٍ يومٍ واحد لا غير يا آلهةَ الأرض
قبل أن يجيشَ الهواء والمعدنُ ثانيةً
فتقبض الشظايا علينا ملء وجوهنا .

وسالة إلى أُمي

يهدأ الضبابُ الآن ، أيتها الأم
وقناةُ ناڤيغليو تشقُّ مضطربةً طريقَها بين الضفتين
الأشجارُ تنتفخُ بالماءِ وبالثلج تحترق ،
وأنا في الشمالِ لستُ حزيناً ، ولستُ بسلامٍ
مع النفس ، ولكن لا أتوقّعُ عفواً من أحد ،
ومدين لكثيرين بالدموع .
أعرفُ أنكِ تتوجّعين
وتَحْيَينَ ، شأنَ أمهاتِ الشعراء جميعاً ،
بعوَز ، وبمقدارِ ما يُحوجهنَّ حبُّ أبنائهنَّ النائين .
واليومَ ، أنا من يبادرُ بالكتابةِ إليكِ . .»
ها هو سطرٌ يصلني أخيراً ، ستقولين ،
من الابن الذي هربَ ليلاً
بمعطفٍ خالي الجيب إلا من بضعةِ أبياتِ شعر ،

مطواع القلب ومسكين
وسيُقتلُ يوماً بمكانٍ ما .
«بالتأكيد أتذكر تلك اللحظةَ الرمادية ،
للقطاراتِ البطيئةِ المحمّلةِ بالبرتقالِ واللوز ،
في مصبّ «إيميرا» ، حيث النهرُ تزحمُه طيورُ العقعق ،
والملحُ وأشجارُ اليوكاليبتوس .
ولكنني الآنَ أطمعُ بالشكران
مخلصاً للابتسامةِ التي طعّمتِ بها شَفتيْ ،
ابتسامة برقّةِ ابتسامتك أنتِ .
كمْ جنّبتِني ألماً وأسىً
والآن ، إذا ما أرقتُ دموعاً من أجلكِ ،
ومن أجلِ كلِّ منتظرةٍ مثلكِ ،
تجهلُ علّةَ انتظارها ، فلا بأس .
أيها الموتُ الرقيق ،
لا تَمَس بأناملكَ الباردة الساعةَ المعلقةَ في المطبخ
تلك التي تَتِكُّ على الجدار .
كلُّ طفولتي انقَضَتْ على طلاءِ دائرتها ،
على تلك الأزهار المرسومة .

لا تَمَس أيدي وقلوب المسنين .
أما من أحد يجيبُ؟ آه يا موتَ الرحمةِ
يا موتَ العار . وداعاً أيتها العزيزةُ
وداعاً يا أمّي . .»

القيثارات الميتة

أرضي في الأنهار ، تعانق البحر
ما منْ أرضٍ أخرى تملك صوتاً واهناً كهذا
عندما تشرُدُ خطواتي
عَبر أحراشِ أسلٍ مُثْقلٍ بالحلازين .
إنه الخريفُ حقاً : حيثُ في الريحِ ، في شظاياها ،
تنقرُ القيثاراتُ الميتةُ الأوتارَ
على الفمِ الأسودِ واليدُ تحركُ أصابعَ النار .
في مرايا القمر ، تُمشّط الفتياتُ
ذواتُ الأثداء التي تُشبه برتقالاً ، شعورَهنَّ .
مَنْ الذي ينحب؟
من الذي يسوطُ الخيولَ في الهواءِ الأحمر؟
سوف نبقى على هذه الضفةِ بمحاذاةِ العشب ،
وأنتَ ، يا من أُحبُّ ، لا تعبر بي

أمامَ تلك المرآةِ اللامتناهية :
حيث يحدِّقُ صبيانٌ ، وهم يغنّون ، وأشجارٌ سامقةٌ
ومياهٌ بوجوهِ ذَواتهم .
من الذي يحبُّ؟ لستُ أنا ، صدقيني :
على الأنهارِ خيولٌ سوداء ، بروقٌ جهنّمية ،
عَدْوٌ مجنونٌ يُساط .
لستُ أنا . شعبي يشحذُ سكاكينَ ،
وأقماراً ، وجراحاً تحترق .

إلى شاعر معادٍ

«إلى كَوسيبي ماروتا»

على رمالِ «جيلا» التي بلون القش
اعتدتُ الارتماءَ ، وأنا طفلٌ ، على ضفافِ البحر
اليوناني القديم ، وصدري ممتلئ بالأحلام .
وكذا قبضتاي المطْبقتان .
هناك أسخيلوس المنْفي يُنعمُ النظرَ بأبياتِ شعِره
مقطّب الجبين في الخليجِ الملتهبِ حيث النسر
يرقبُه في ذلك اليوم الأخير .
يا رجلَ الشمال ، يا من يأملُ بموتي
أو لا شيء ، لتأملْ بسلامكَ أنت .
في الربيع القادم ستبلغُ أم أبي المائةَ عام .
آملُ أنني غداً لن أعبثَ
بجمجمَتكِ التي صفّرها المطر .

مرئي ، لامرئي

مرئي ، لامرئي
سائقُ عربةِ النقلِ في الأفق
يصرخ بين ذراعي الطريق
مُجيباً صوتَ الجُزُر .
وأنا الآخر أحتفظُ بمسارٍ مستقيم .
العالمُ يدور دورتَه . وأنا أقرأُ
تأريخي كما يقرأُ حارسُ الليلِ ساعاتِ المطر .
للسرِّ هوامشٌ سعيدةٌ ، مكائدُ ، ومفاتنُ صعبة .
وحياتي ، المترددة بخيلاء على كل مُنْتجَعٍ لي وطريق ،
لا تملكُ مقابضَ لأبوابها .
إنني لم أهيئ للموتِ نفسي ،
لأنني أحسنُ معرفةَ مبتدأ الأشياء .
النهايةُ هي الفسحة التي يرحلُ عليها ظلّي .
وأنا لا أحسنُ معرفةَ الظلال .

جنودٌ ينحبون ليلاً

لا الصليبُ ، لا الطفولةُ ، لا بلاءُ الجُلْجلة ،
لا الذاكرةُ الملائكية ،
كفيلةٌ باجتثاثِ جذرِ الحرب .
جنودٌ ينحبون ليلاً
قبلَ موتهم ، أشدّاءَ ، يرتمون
على أقدامِ الكلماتِ التي تعلّموها
تحتَ أسلحةِ الحياة .
أنتَ تقدمُ للعشّاقِ والجنود
سيولاً لا توصف من الدموع .

مَدين ودائن

لا شيء ، لم تُعْطني شيئاً ، أنت
يا من تُصغي .
دمُ الحروبِ جفّ .
ودونَ يد العون تبدو الازدراءاتُ
مَحْضَ رغبةٍ لا تسْتثيرُ استجابةً
لدى الإنسان . مَدين ودائن . في صوتي
ثمة علامة لهندسةٍ حية
وفي صوتك محارةٌ ميتةٌ
بترانيم جنائزية .

سلفاتور كواسيمودو

نوبل ١٩٥٩



- ولد في جزيرة «سيسلي» ـ ايطاليا عام ١٩٠١ .
- عمل في شبابه الأول عاملاً ميكانيكياً في باليرمو .
- في ميلان درس الأدب الإيطالي بمعهد ڤيردي للموسيقى ، ودخل مباشرة إلى ميدان التعليم . وابتداء من ١٩٢٩ صار استاذاً جامعياً .
- صدرت مجموعته الأولى «مياه ويابسة» عام ١٩٣٠ .
- حصل على جائزة «سان بابليا» عام ١٩٥٠ . وفي عام ١٩٥٥ تناصف جائزة «ايتناورمينا» مع الشاعر الويلزي ديلان توماس . وفي عام ١٩٥٨ حصل على جائزة «مايريجيو» .
- حصل على جائزة نوبل عام ١٩٥٩ .
- لـ «كواسيمودو» ، إلى جانب نشاطه الشعري ، مشاركات فلسفية . ومن كتبه في هذا الحَقل : «الروح فعل خالص» ١٩٣٧ ، «مذهب المنطق من حيث هو نظرية للمعرفة» ١٩٤٦ و «فلسفة الفن» ١٩٤٩ .
- هذا الكتاب هو أول تعريف به وبشعره في العربية .
- توفي في ١٤ آب ١٩٦٨ .

ISBN => 2-84305-170-3
EAN => 9782843051708